دراسة علمية



مع تحقيق

اثر بلال بن الحارث المزني الصحابي رضي الله تعالى عنه

الاستاذ محمد عبد الحكيم شرف القادري

المكتبة القادرية بالجامعة النظامية الرضوية
لاهور (٨) باكستان ١٢٣٥٠

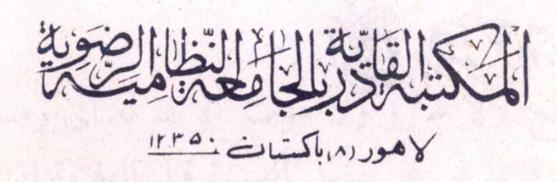
دراسة علمية



مع تحقيق

اثر بلال بن الحارث المزني الصحابي رضي الله تعالى عنه

الأستاذ محمد عبد الحكيم شرف القادري



لاهور (٨)، باكستان ١٢٣٥٠

١٤٠٨ھ

١٩٨٨م

الثمن : - عشر اروبيات

الجدہ پرنٹرز۔ اردو بازار لاہور - فون ٦٦٧١٣

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله واصحابه اجمعين .

اما بعد ! فان التوسل امر مشروع، لاشك فيه وجرى عليه العمل من القرن الاول الى يومنا هذا ولو استقصينا البحث فى امثلته لطال الكلام وليس هذا محله ولهذا نقتصر على القدر الضرورى ، وفقنا الله تعالى لحماية الحق وازاحة الباطل .

وقبل الخوض فى المسئلة نذكر نبذا من معتقداتنا لئلا تعترى شبهة للمخالف .

١- نحن نحب الله تعالى اشد محبة من محبة الجميع ، قال الله تعالى : "والذين أمنوا اشد حبا لله" (٢/١٦٥) والنبى ﷺ احب الينا من جميع الخلق ، كما فى حديث الصحيحين لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين .

٢- العبد لا فعل له ولا تصرف له حقيقة سواء كان حيا او ميتا ، انما هو كاسب والفاعل والمتصرف الحقيقى هو الله تعالى كما هو مصرح فى كتب الكلام .

٣- لا نفع ولا ضرر ولا غوث الا لله تعالى وما ينسب الى عباده تعالى فانما هو على سبيل السببية قال العلامة ابن تيمية :

يجب على كل مكلف ان يعلم ان لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله ، وان كل غوث فمن عنده ، وان كان جعل ذلك على يدى غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز(١) .

٤- اذا قلنا فى الدعاء بحق فلان او بجاه فلان لا نريد به الاقسام على الله تعالى ولا هو معروف عندنا فى هذا المعنى وانما نريد تقديم وسيلة فى حضرة الله تعالى رجاء منه تعالى ان يقبل ادعيتنا ، فان الاخيار والمقربين من الانبياء والاولياء لهم جاه عنده تعالى.

قال العلامة ابن تيمية :

فنقول : قول السائل لله تعالى اسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والانبياء والصالحين وغيرهم او بجاه فلان او بحرمة فلان" يقتضى ان هؤلاء لهم عندالله جاه، وهذا صحيح فان هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضى ان يرفع الله درجاتهم ويعظم اقدارهم ويقبل شفاعتهم اذا شفعوا

- - - - - - - - -

- - - - - - ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضى اجابة دعائه اذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك بل جاههم ينفعه ايضا اذا اتبعهم واطاعهم فيما امروا به عن الله ، او تاسى بهم فيما سنوه للمؤمنين ، وينفعه ايضا اذا دعوا له وشفعوا فيه(٢)

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/١١١-١١٠

٢- ايضا : مجموعة الفتاوى ١/٢١١

٥- الانبياء والصالحون ليس لهم استقلال فى الشفاعة ، انما يشفعون باذنه تعالى .

قال العلامة ابن تيمية فى جواب استدلال المنكرين للشفاعة

الثانى : انه يراد بذلك نفى الشفاعة التى يثبتها اهل الشرك ومن شابههم من اهل البدع من اهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون ان للخلق عند الله من القدر ان يشفعوا عنده بغير اذنه ، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع اليه شفاعة شافع لحاجته اليه رغبة ورهبة ، وكما يعامل المخلوق بالمخلوق بالمعاوضة[1] .

الكلام على جواز التوسل

قال الله تعالى :

يا ايها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة (٣٥/٥) .

هذه الآية نص صريح فى جواز اتخاذ الوسيلة وظاهر انها مطلقة شاملة للاعمال الصالحة والذوات الصالحة ولا يصح قصرها فى الاعمال نظرا الى حديث اصحاب الغار فان ذلك الحديث لا يدل على الحصر.

ويمكن ان يقال على طريق المعقول ان اعمالنا الصالحة ليست وسيلة فى حضرة الله تعالى الا لانها صالحة حسنة ، مع انا لا ندرى هل هى مقبولة عنده تعالى ام لا ؟ فلما جاز جعلها وسيلة مع كونها مجهولة القبول ، كيف لا يجوز اتخاذ نبى الله ﷺ وسيلة وهو مقبول ومكرم عندالله تعالى قطعا .

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/ ١٥٠

قال العلامة ابن تيمية :

وقد اتفق المسلمون على انه ﷺ اعظم الخلق جاها عندالله ، لا جاه لمخلوق عندالله اعظم من جاهه، ولاشفاعة اعظم من شفاعته[١] .

والآن نقدم اليكم بعض الاحاديث التى تدل على جواز التوسل بالذوات الصالحة :

١- فى المعجم الكبير والاوسط عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه

قال لما ماتت فاطمة بنت اسد ، ام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه امر رسول الله ﷺ بحفر قبرها ، ثم اضطجع فيه وقال :

الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت ، اغفر لامى فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى ، فانك ارحم الراحمين[٢] .

هذا توسل بسيد الانبياء والانبياء السابقين صلوات الله تعالى وتسليماته عليه وعليهم اجمعين .

٢- وعن امية بن خالد رضى الله تعالى عنه :

انه ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، رواه

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/١٤٥

٢- على بن احمد السمهودى : وفا الوفاء (دار احياء التراث العربى، بيرت) ٣/٨٩٩

فى شرح السنة[١] .

قال العلامة العلى القارى فى شرح هذا الحديث .

وقال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين[٢] .

لم يكن النبى ﷺ محتاجا الى التوسل بهم قط ولكنه توسل بهم جبراً لخاطرهم المنكسر واكراما لهم وتنبيها للامة بان التوسل باصحابه وخدامه ﷺ جائز ، واذا جاز التوسل بخدامه ﷺ جاز به بالطريق الاولى .

٣- اخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول لله ﷺ :

لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ؟ ولم اخلقه ، قال يا رب ! لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله : صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى، ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد

١- محمد بن عبدالله ولى الدين ، الامام : مشكوة المصابيح (كراتشى) ص: ٤٤٧

٢- على بن السلطان محمد ، القارى : مرقاة المصابيح (مطبوعة ملتان) ١٠/١٣

ما خلقتك" هذا حديث صحيح الاسناد[1] .

رواه الطبرانی (م٣٦٠) فی المعجم الصغیر (ص : ٢٠٨) .

رواه ابن عساکر (م٥٧١ھ) فی التاریخ (٣٥٧/٢) .

نقله الحافظ الذهبی (م٧٤٨ھ) فی التلخیص من المستدرك (٦١٥/٢) .

نقله احمد بن محمد القسطلانی (م٩٢٣ھ) فی المواهب اللدنیة فی المقصد الاول فی فصل زیارة قبره ﷺ .

نقله محمد بن عبدالباقی الزرقانی (م١١٢٢ھ) فی شرح المواهب (٧٤/١ - ٣٦١/٨) .

٤- قال العلامة ابن القیم :

عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما کانت یهود خیبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت یهود خیبر فعاذت الیهود بهذا الدعاء فقالت اللهم انا نسألك بحق محمد نالنبی الامی الذی وعدتنا ان تخرجه لنا فی آخر الزمان الا نصرتنا علیهم قال فکانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبی ﷺ کفروا به فانزل الله عزوجل "وکانوا من قبل یستفتحون علی الذین کفروا" یعنی بك یا محمد[2].

١- الحاکم النیسابوری : المستدرك ، کتاب التاریخ دار الفکر ، بیروت ، ٦١٥/٢

٢- محمد بن القیم الجوزیة ، العلامة : هدایة الحیاری الجامع الفرید ص : ٤٩٣

٥- روى الشيخ ابو الفرج بن الجوزى بسنده (المذكور فى مجموعة الفتاوى للعلامة ابن تيمية) عن ميسرة رضى الله تعالى عنه قال قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وخلق العرش ، كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء ، وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمى على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد ، فلما احياه الله تعالى ، نظر الى العرش فرأى اسمى فاخبره الله انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه[١] .

٦- روى ابو نعيم الحافظ فى كتاب دلائل النبوة بسنده (المذكور فى مجموعة الفتاوى للعلامة ابن تيمية) عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : "لما اصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يا رب بحق محمد الا غفرت لى . فاوحى اليه وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يا رب انك لما اتممت خلقى رفعت رأسى الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فعلمت انه اكرم خلقك عليك ، اذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال : نعم ، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من دريتك ولولاه ما خلقتك" . فهذا الحديث يؤيد الذى قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة[٢] .

٧- اخرج الذهبى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه انه سمع قارئا يقرأ

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٢/١٥٠

٢- ايضا : ٢/١٥١

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قال القربة ، ثم قال :

لقد علم المحفوظون من اصحاب محمد ﷺ ان ابن ام عبد من اقربهم الى الله وسيلة[1] .

فقد ثبت بهذه الاحاديث انه يصح جعل الذوات الصالحة وسيلة الى الله تعالى كما يصح التوسل بالاعمال الحسنة .

قال العلامة ابن تيمية بعد ما نقل حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه :

فعلى هذا القول لانبيائه وعباده الصالحين عليه سبحانه حق اوجبه على نفسه مع اخباره[2] .

وقال ايضا :

ومن قال : بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح اذا اراد به الحق الذى اخبر الله بوقوعه فان الله صادق لا يخلف الميعاد وهو الذى اوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته ، وهذا المستحق لهذا الحق اذا سأل الله تعالى به يسأل الله تعالى انجاز وعده او يسأله بالاسباب التى علق الله بها المسببات كالأعمال الصالحة فهذا مناسب[3] .

١- الذهبى ، الامام : التلخيص على هامش المستدرك دارالفكر ، بيروت ٣١٢/٣

٢- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٢١٤/١

٣- ايضا : مجموعة الفتاوى ٢١٧-٢١٨/١

وقال ايضا :

وكذلك مما يشرع التوسل به فى الدعاء كما فى الحديث الذى رواه الترمذى وصححه ان النبى ﷺ علم شخصا ان يقول اللهم انى اسألك واتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد ! يا رسول الله ! انى اتوسل بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فى" فهذا التوسل به حسن[١] .

التوسل بعد وفاته ﷺ

التوسل بالنبى ﷺ واقع فى كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا وبعد وفاته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة[٢] واتفقت الامة المسلمة على جواز التوسل بانحائه ، الا القسم الثالث فجمهور العلماء على جوازه وبعضهم منعوه ولهذا نقصر الكلام عليه .

التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته جائز بل هو ادعى الى الاجابة ، كان يقال اللهم بالنبى الاعظم والرسول الاكرم ﷺ او يطلب الدعاء منه ﷺ ، وذلك ثابت بالاحاديث واقوال الائمة الذين يعتمد عليهم .

قال العلامة ابن تيمية :

قال احمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى صاحبه :

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٣/٢٧٦

٢ـ حسن العدوى الحمزاوى ، العلامة : مشارق الانوار المطبعة الشرقية ، مصر ص: ٥٩

انه يتوسل بالنبى ﷺ فى عائه ، ولكن غير احمد قال : ان هذا اقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، واحمد فى احدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به[1] .

هذا هو الامام احمد بن حنبل من اجلة ائمة الاسلام جوز التوسل بالنبى ﷺ بعد رحلته من الدنيا بل جوز الاقسام به على الله تعالى على احدى الروايتين ، فلا مجال للشرك والحرمة فى احد جانبى هذه المسئلة .

اما طلب الدعاء منه ﷺ والتوسل به بعد وفاته فثابت بالاحاديث الصحيحة والحسان ، وآثار الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم .

فلنذكر بعض الاحاديث والآثار

١ـ روى الحافظ ابن ابى شيبة :

١١٣/(١٢٠٥١) حدثنا ابو معاوية عن الاعمش، عن ابى صالح عن مالك الدار، قال : وكان خازن عمر على الطعام قال اصاب الناس قحط فى زمن عمر ، فجاء رجل الى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل فى المنام فقيل له ائت عمر فاقرئه السلام، واخبره انكم مستقيون (مسقون) وقل له عليك الكيس! عليك الكيس! فاتى عمر فاخبره فبكى عمر ثم قال : يا رب لا آلوا لا ما

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/١٤٠

عجزت عنه[١].

ونرجع الى تحقيق هذا الحديث فى ما بعد، ان شاء الله تعالى.

٢ـ اخرج الامام احمد بن حنبل والحاكم والطبرانى والبيهقى عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه ان رجلا ضرير البصر، اتى النبي ﷺ فقال ادع الله ان يعافيني، فقال: ان شئت دعوت لك، وان شئت اخرت ذلك فهو خير لك، فقال ادعه، فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم انى سائلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد! انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى اللهم فشفعه فى[٢].

وزاد البيهقى:

قال عثمان فو الله ما تفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل كانه لم يكن به ضروقط[٣].

وقد روى ابو بكر ابن ابى خيثمة فى تاريخه، فقال:

١ـ ابن ابى شيبة، الحافظ، الامام: المصنف (ادارة القرآن، كراتشى) ١٢/٣٢-٣١

٢ـ (ا) احمد بن حنبل، الامام: مسند الامام احمد بن حنبل (دار الفكر، بيروت) ٤/١٣٨

(ب) ابوعبدالله الحاكم النيسابورى: المستدرك (دارالفكر، بيروت) ١/٥١٩

٣ـ تقى الدين السبكى، الامام: شفاء السقام (المكتبة النورية، فيصل آباد) ص: ١٦٧

حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن سلمة ، انا ابوجعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف ان رجلا اعمى اتى النبي ﷺ ، فقال : انى اصبت فى بصرى فادع الله لى قال اذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم انى سائلك واتوجه اليك بنبى محمد نبى الرحمة ، يا محمد استشفع بك على ربى فى رد بصرى ، اللهم فشفعنى فى نفسى وشفع نبيى فى رد بصرى ، وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك فرد الله عليه بصره[١] .

ففى هذه الرواية زيادة وهى قوله وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك – وظاهر انه قول النبى ﷺ فان زيادة الثقة مقبولة ، ولو سلمنا انه مدرج من قول عثمان بن حنيف فهو صحابى ، وكفى به قدوة ، وقد علم عثمان رجلا هذا الدعاء لقضاء حاجته بعد وفاة النبى ﷺ كما سيأتى، ولا يسع لعالم ان يحكم بالكفر والشرك او الحرمة على ما اعتقده صحابى رضى الله تعالى عنه .

قال العلامة ابن تيمية :

قال الطبرانى روى هذا الحديث شعبة عن ابى جعفر واسمه عمر بن يزيد وهو ثقة ، تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة ، قال ابو عبدالله المقدسى : والحديث صحيح .

قلت والطبرانى ذكر تفرده ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة وذلك اسناد صحيح يبين انه لم ينفرد به عثمان بن عمر[٢] . وقد روى الطبرانى عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/ ٢٧٤-٢٧٥

٢- ايضا : مجموعة الفتاوى ١/ ٢٧٤

الى عثمان بن عفان فى حاجة له ، فلقى عثمان بن حنيف فشكا اليه ذلك ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربك عزوجل فيقضى لى حاجتى ! وتذكر حاجتك ، ورح حتى اروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم اتى باب عثمان بن عفان ، فاجلسه معه على الطنفسة ، وقال : حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتّى كانت هذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فائتنا .

ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرا ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى ، فقال له عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ واتاه ضرير - ثم ذكر حديث الضرير السابق[١] .

٣- روى الدارمى فى سننه : حدثنا ابو الجوزاء اوس بن عبدالله قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت. انظروا الى قبر النبى ﷺ فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق[٢] .

٤- قال العلامة احمد بن محمد القسطلانى ، نقلا عن ابن المنير :

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٢٧٤

٢- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى (م٢٥٥هـ) سنن الدارمى دارالمحاسن ، مصر ١/٤٣

لما مات ﷺ طاشت العقول (الى ان قال) وكان اثبتهم ابو بكر. جاء وعيناه متهملان ، وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبى ﷺ وكشف الثوب عن وجهه (الى ان قال) :

ولو ان موتك كن اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس
اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك[1] .

٥- قد سبقت رواية الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط عن انس ابن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى ﷺ اضطجع فى قبر فاطمة بنت اسد رضى الله تعالى عنها ودعالها بقوله :

اغفر لامى فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها
بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك ارحم الرحمين[2] .

٦- وكان يوم اليمامة يوما شديدا على المسلمين ، اذ كانوا فى قلة مع كثرة العدو ، وكان مع المسيلمة اربعون الفا من المقاتلين فاشتدت الملحمة وكادت اقدام المسلمين ان تتزلزل ، حتى بلغ العدو الى خيمة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ، فلما رأى خالد شدة الحرب نادى بشعار المسلمين :

وكان شعارهم يومئذ يا محمداه[3]

٧- وذكر الهيثم بن عدى قال رعت بنو عامر بالبصرة فى الزرع

١- احمد بن محمد القسطلانى ، العلامة مواهب اللدنية مع شرح الزرقانى ٣٢٢/٨

٢- على بن احمد السمهودى ، وفاء الوفاء ٨٩٩/٣

٣- ابن كثير ، الحافظ : البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت) ٣٢٤/٦

فبعث ابو موسى الاشعرى فى طلبهم ، فتصارخوا يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدى ومعه عصبة له ، فاتى به ابو موسى ، فقال له : ما اخرجك ؟ قال سمعت صارخة قومى ، قال : فضربه اسواطا ، فقال النابغة (الصحابى) فى ذلك :

فان تك لابن عفان امينا   فلم يبعث بك البر الامينا
فيا قبر النبى وصاحبيه   الا يا غوثنا لو تسمعونا[١]

٨- قال الامام النووى : روينا فى كتاب السنى ، عن الهيثم بن حنش قال كنا عند عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر احب الناس اليك ، فقال :

يا محمد ! ﷺ . فكانما نشط من عقال[٢]

٩- قال الحافظ ابن كثير : فلما مروا (اى اهل الحسين رضى الله تعالى عنهم) ورأوا الحسين واصحابه مطر حين هنالك ، بكته النساء وندبت زينب اخاها الحسين واهلها فقالت وهى تبكى :

يا محمداه ! يا محمداه صلى عليك الله وملك السماء ،
هذا حسين بالعراء ، مزمل بالدماء ، مقطع الاعضاء ،
يا محمداه ! وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا[٣]

١- ابن عبدالبر النمرى : (م٤٦٣هـ) الاستيعاب على هامش الاصابة (دار صادر ، بيروت) ٣/٥٨٦

٢- يحي بن شرف النووى ، الامام : الاذكار (مصطفى البابى ، مصر) ص : ٢٧١

١- ابن كثير ، الحافظ البداية والنهاية ، بيروت ١٩٣/٨

الكلام على اثر بلال بن الحارث رضى الله تعالى عنه

قدمنا احاديث دالـة على جواز التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته وطلب الدعاء منه ﷺ ومناط الاستدلال على حديث بلال ابن الحارث ، الصحابى رضى الله تعـالى عنه الذى رواه الحافظ ابن ابى شيبة فى مصنفه وباقى الاحاديث مؤيد له فى هذا المبحث.

انتقد الشيخ ابو بكر جابر الجزائرى على هذا الحديث متنـا وسندا واستعـان فى هذا النقد من الشيخ حمـاد الانصارى.

الايراد الاول :

اللهم الا اثر بلال بن الحـارث الـذى اورده البيهقى فى الدلائل والبخارى فى التاريخ الكبير والحافظ ابن حجر فى الفتح وهو امر حيرنى حقا ، وقلت : سبحان الله ! كيف يصح هذا الاثر وهو يناقض اكبر اصل من اصول الدين ، الا وهو توحيد القصد والطلب ، اذ جاء فيه سؤال الرسول ﷺ فى قبره ان يستسق لامته .

اتصلت بمحدث المدينة، الشيخ حماد الانصارى فقال : ان هذا الاثر قد تتبعته فى مصادره ودرست سنده، فوجدته باطلا ، لا يقبل سندا ولا متنا[1] .

١- ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٣

قلت : سبحان الله ! كيف يكون هذا الاثر باطلا وقد رواه ائمة الحديث الذين اجتمعت الامة على جلالتهم والتفصيل مايلى :

١- رواه الامام البيهقى فى دلائل النبوة .

٢- الامام البخارى فى التاريخ الكبير .

٣- والحافظ ابن حجر فى فتح البارى .
كما اعترف به الشيخ الجزائرى .

٤- رواه الحافظ ابن ابى شيبة فى المصنف (مطبوع كراتشى ٣١-٣٢/١٢) .

٥- رواه الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت ، ٩١-٩٢/٧) .

٦- رواه الحافظ ابن ابى خيثمة ، نقله العلامة ابن حجر فى الاصابة

٧- ابن عبدالبر فى الاستيعاب (حرف عمر، ٤٦٤/٢) .

٨- الامام تقى الدين السبكى ، فى شفاء السقام (طبع فيصل آباد ، ص : ١٧٤) .

٩- احمد بن محمد القسطلانى فى المواهب اللدنية (مع شرح الزرقانى، طبع ١٢٩٢هـ ، ٧٧/٨) .

١٠- نورالدين على بن احمد السمهودى، وفاء الوفاء (دار احياءالتراث العربى ، بيروت ، ص : ١٣٧٤) .

١١- احمد بن حجرالمكى، الجوهر المنظم (المكتبة القادرية ، لاهور ، ص : ٦٢) .

١٢- واخرج الحافظ ابن كثير بسند آخر حيث قال :

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب ان رجلا من مزينة عام الرمادة سأله اهله ان يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شئ فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر ، فقال يا محمداه ! فلما امسى ارى فى المنام ان رسول الله ﷺ يقول له ابشر بالحياة ، ايت عمر فاقرأه منى السلام الحديث .

(البداية والنهاية ٩٢/٧-٩١)

١٣- رواه العلامة ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخ الامم والملوك (دارالقلم ، بيروت ٢٢٤/٤) .

١٤- ابن الاثير، الكامل فى التاريخ (دار صادر، بيروت ٥٥٦/٢) .

صرح الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية والحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح والعلامة احمد بن محمد القسطلانى فى المواهب اللدنية والعلامة السمهودى فى وفاء الوفاء بان هذا الحديث رواه ابن ابى شيبة بسند صحيح .

١٥- واخرج الحافظ ابن كثير هذا الاثر بسند ثالث وهو مايلى :

قال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمى عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كان عام الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة واول سنة ثمانى عشرة، اصاب اهل المدينة وما حولها جوع ، فهلك كثير من الناس . . . . . . حتى اقبل بلال بن الحارث المزنى فاستأذن على عمر فقال انا رسول رسول الله اليك ، يقول لك رسول الله ﷺ لقد عهدتك

كيسا ، وما زلت على ذلك ، فما شأنك؟ قال متى رأيت هذا؟ قال : البارحة . فخرج فنادى فى الناس ، الصلوة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ، ثم قام ، فقال : ايها الناس انشدكم الله هل تعلمون منى امرا غيره خير منه؟ فقالوا اللهم لا ، فقال: ان بلال بن الحارث يزعم ذية ذية : قالوا صدق بلال[1].

فهل يجوز العقل السليم ان يكون هذا الاثر منا قضا لاصل من اصول الدين ومع ذلك رواه اجله المحدثين منهم الامام البخارى ولم يحكم عليه احد منهم بالوضع والبطلان ولا بالضعف بل اوردوه فى معرض الاستدلال وصرحوا بان اسناده صحيح ، والامام البخارى اجل من ان تبين جلالته فى علم الحديث ومتعلقاته .

قال العلامة ابن تيمية :

والبخارى من اعرف خلق الله بالحديث وعلله مع فقهه فيه[2].

ولو فتحنا باب مثل هذه التنقيدات لارتفع الاعتماد عن الائمة المحدثين بل لايبقى الاعتماد على الدين ايضا . نعوذ بالله من ذلك .

١٦- قال العلامة ابن تيمية :

وكذلك ايضا ما يروى «ان رجلا جاء الى قبر النبى

١- ابن كثير الحافظ : البداية والنهاية ٧/٩١

٢- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٢٥٦

ﷺ فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يامره : ان ياتى عمر ، فيأمره ان يخرج فيستسقى بالناس﴾ فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبى ﷺ واعرف من هذه الوقائع كثيرا[1] .

وبعد هذا لم يبق للشيخ الجزائرى وامثاله مجال الانكار على هذا الاثر فانه لو كان منابذا لاصل من اصول الدين رده العلامة ابن تيمية وانكر عليه اشد انكار ، وهو كما ترى يؤيده بانه يعرف وقائع كثيرة مثل هذا .

ثم اقول : لو كان طلب الدعاء من النبى ﷺ بعد مماته شركا ، كان طلبه فى حياته ﷺ ويوم القيامة ايضا شركا ، فان الشرك شرك فى كل حال لايتغير بموت ولا حياة ، وكما ان الميت لايصلح ان يكون شريكا لله تعالى كذلك الحى لايصلح ان يكون شريكا له تعالى ، ولو كان اكبر اصل من اصول الدين توحيد القصد والطلب من الله تعالى لايبقى مجال الطلب من خلقه سواء كان حيا او ميتا .

ان قيل ان النبى ﷺ فى حال حياته يمنع الطالب عن الشرك بخلاف ما بعد وفاته قلنا منعه عن الشرك باق الى يوم القيامة وعلماء الاسلام قائمون مقامه ﷺ فى اداء هذه الفريضة، ولو طلب العلماء المتقنون الدعاء منه ﷺ بعد وفاته كيف يتطرق الشرك اليهم؟

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : اقتضاء الصراط المستقيم (طبع لاهور) ص : ٣٧٣

الايراد الثانى :

ان هذا الاثر لا يعد وكونه رؤيا منامية والرؤى لا تثبت بها الشرائع والاحكام ، اللهم الا ان تكون رؤيا الانبياء ، لانها من الوحى[١].

قلنا ليس هذا استدلا بالرؤى المنامية ، بل انما هو استدلال بعمل الصحابى (وهو بلال بن الحارث المزنى رضى الله تعالى عنه) فى حال يقظته ، ولو كان شركا لما فعله ، ثم اخبر به عمر رضى الله تعالى عنه ولم ينكر عليه بل عرضه على الصحابة والتابعين الذين حضروا الاستسقاء ولم ينكر عليه احد منهم ، بل صدقوه بقولهم صدق بلال ، وهذا من الاجماعات الاقرارية .

الايراد الثالث :

ان فى سنده الاعمش ، وهو معروف بالتدليس ولذلك فان حديثه لا يحتج به ما لم يصرح بالسماع[٢].

قلنا : الاعمش تابعى جليل القدر من رواة الصحاح الست واستاذ ائمة الحديث والفقه من تلامذته الامام الاعظم ابوحنيفة وامير المؤمنين فى الحديث شعبة .

قال الامام مسلم بن الحجاج القشيرى فى مقدمة صحيحه :

الا ترى انك اذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء ويزيد وليث ، بمنصور بن المعتمر وسليمان الاعمش واسماعيل بن ابى خالد فى اتقان الحديث والاستقامة فيه

---

١ - ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٤

٢ - ايضا : وجاؤا يركضون ص : ٢٣

وجدتهم مبائنين لهم لا يدانونهم ، لا شك عند اهل العلم بالحديث فى ذلك للذى استفاض من صحة حفظ منصور والاعمش واسماعيل واتقانهم لحديثهم[1].

بهذا ظهر ان الامام الاعمش تام الضبط ، جيد الحفظ عند الامام مسلم .

وقال ابن ابى حاتم فى ترجمة الاعمش :

روى عنه الثورى وشعبة ، ------- عن يحيى بن معين انه قال : سليمان بن مهران ثقة ----- كان جرير اذا حدث عن الاعمش قال : هذا الديباج وهو استاذ الكوفة ------ حدثنا عبد الرحمن قال سمعت ابا زرعة يقول : سليمان الاعمش امام[2]

قال الامام احمد رضا البريلوى :

الامام الاعمش ، امام اجل ، ثقة ، ثبت ، حجة ، حافظ كبير القدر ، جليل الفخر ، من اجلة الائمة التابعين ورجال الصحاح الست ، الذى وثاقته وعدالته وجلالته اجلى من الشمس فى نصف النهار ، اسمه سليمان ------ فى التقريب سليمان بن مهران الاعمش ثقة ، حافظ ، عارف

١- مسلم بن الحجاج القشيرى ، الامام : صحيح مسلم (المكتبة الرشيدية ، دهلى) ١/٤

٢- عبدالرحمن بن ابى حاتم ، الامام : كتاب الجرح والتعديل (دارالكتب العلمية ، بيروت) ٤/١٤٦-٧

بالقراءة، ورع[١].

اما انه مدلس فليس بمضر لحجية الحديث، فان التدليس على نحوين احدهما ان يروى الراوى عمن عاصره ما لم يسمع منه موهما سماعه قائلا قال فلان او عن فلان او نحوه، وقد اختلف فى حكمه فقال جماعة من العلماء ان من عرف منه هذا التدليس لا تقبل روايته ابدا وان بين السماع، قال الامام النووى، شارح المسلم :

والصحيح ما قاله الجماهير من الطوائف ان ما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع فهو مرسل وما بينه فيه كسمعت وحدثنا واخبرنا وشبهها فهو صحيح مقبول يحتج به وفى الصحيحين وغيرهما من كتب الاصول من هذا الضرب كثير لايحصى، كقتادة والاعمش والسفيانين وهشيم وغيرهم ودليل هذا ان التدليس ليس كذبا[٢].

فثبت ان ما لم يصرح فيه المدلس بالسماع حكمه حكم المرسل، وحكم المرسل ما صرح به الامام النووى، حيث قال :

ثم مذهب الشافعى والمحدثين او جمهورهم وجماعة من الفقهاء انه لا يحتج بالمرسل ومذهب مالك وابى حنيفة واحمد واكثر الفقهاء انه يحتج به ومذهب الشافعى انه اذا انضم الى المرسل ما يعضده احتج به وذلك بان يروى ايضا

١- احمد رضا البريلوى، الامام : الفتاوى الرضوية (المطبوعة بالهند) ٢/ ٩

٢- يحيى بن شرف النووى، الامام : مقدمة شرح مسلم (المكتبة الرشيدية دهلى) ص : ١٨

مسندا او مرسلا من جهة اخرى او يعمل به بعض الصحابة او اكثر العلماء[1].

فرواية الامام الاعمش التى اخرجها الحافظ ابن ابى شيبة مقبولة عند ابى حنيفة ومالك واحمد من غير شرط وكذا عند الامام الشافعى لورودها بسندين آخرين ، اوردهما الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية وايضا عمل بها اكثر العلماء ، فهذه الرواية مقبولة عند الائمة الاربعة.

قد استدل الامام البخارى وغيره من ائمة الحديث ، بالحديث المعنعن المروى عن الامام الاعمش : قال الامام البخارى فى "باب الصلوة فى مسجد السوق" :

حدثنا مسدد قال نا ابو معاوية عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة عن النبى ﷺ قال صلوة الجميع تزيد على صلوته فى بيته الحديث[2].

ولم يأت الامام البخارى بمتابع ليثبت به تصريح السماع بل استدل به واكتفى ، وهذا سند الحافظ ابن ابى شيبة :

حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابى صالح عن مالك الدار.

انظر المماثلة بين هذين السندين فان ابا معاوية يروى فى كليهما عن الاعمش عن ابى صالح.

١- يحيى بن شرف النووى ، الامام : مقدمة شرح مسلم ص : ١٧

٢- محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : صحيح البخارى (رشيديه دهلى ، ١/٦٩)

والامام ابن ماجة افتتح كتابه باحاديث مروية عن الامام الاعمش بطريق العنعنة ، فلو لم تكن روايته مقبولة لم يعتمد عليها ائمة المحدثين ولم يستدلوا بها .

قال العلامة ابن تيمية :

قال القاضى عياض وروى ابو بكر بن ابى شيبة عن ابى هريرة قال : قال رسول‌الله ﷺ "من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا ابلغته" وهذا قد رواه محمد بن مروان السدى عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة وهذا هو السدى الصغير وليس بثقة وليس هذا من حديث الاعمش[1] .

انظر كيف رد هذه الرواية ؟ لا لان الاعمش فى سنده مدلس بل لان السدى الصغير ليس بثقة .

الايراد الرابع :

مالك الدار ، والذى عليه مدار هذا الاثر مجهول ، سكت عنه البخارى ، كما سكت عنه ابن ابى حاتم، والقاعدة عند علماء الحديث ان من سكت عنه البخارى وابن ابى حاتم فهو مجهول غير معروف[2] .

قلت سبحان الله ! هذه القاعدة مفتعلة مجعولة لم نجدها فى كتب اصول الحديث .

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٢٣٨

٢- ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٤

ومما يتعجب عليه ان الامام البخارى وابن ابى حاتم لم يسكتا عن مالك الدار ، بل كلاهما ذكراه .

قال الامام البخارى :

١٢٩٥ ـ مالك بن عياض الدار ان عمر قال يا رب لا آلو الا ما عجزت عنه ، قاله على عن محمد بن خازم عن ابى صالح عن مالك الدار[١] .

وهذا سند آخر سوى الاسانيد الثلاثة السابقة .

وقال ابن ابى حاتم :

٩٤٤ ـ مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب روى عن ابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، روى عنه ابو صالح السمان ، سمعت يقول ذلك[٢].

وقال ابن سعد :

مالك الدار ، مولى عمر بن الخطاب وقد انتموا الى جبلان من حمير وروى مالك الدار عن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، روى عنه ابو صالح السمان وكان معروفا[٣] .

صرح ابن سعد بانه معروف وليس بمجهول .

١ـ محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : كتاب التاريخ الكبير (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٧/٥-٣٠٤

٢ـ عبدالرحمن بن ابى حاتم ، الامام : كتاب الجرح والتعديل (دارالكتب العلمية ، بيروت) ٨/٢١٣

٣ـ ابن سعد ، الامام : طبقات ابن سعد (دار صادر ، بيروت) ٥/١٢

قال العلامة محمد بن عبدالباقى الزرقانى :

مالك الدار وكان خازن عمر وهو مالك بن عياض مولى عمر ، له ادراك ورواية عن الشيخين ومعاذ وابى عبيدة وعنه ابناه عبدالله وعوف وابو صالح وعبدالرحمن بن سعيد المخزومى ، قال ابو عبيدة ولاه عمر كيلة عيان عمر فلما كان عثمان ولاه القسم فسمى مالك الدار(١) .

فلو لم يكن مالك الدار ممن يعتمد عليه لم يعينه عمر رضى الله تعالى عنه خازنا ولم يوله عثمان رضى الله تعالى عنه القسم ، وقد ذكره الامام البخارى وابن ابى حاتم ، وصرح ابن سعد بانه معروف وذكر العلامة الزرقانى اربعة رواة عنه ومع هذا لا يجترئ عالم ان يقول ان مالك الدار مجهول .

قد اعترف الشيخ الجزائرى بانه تحير فى هذا الاثر حقا . ثم اتصل بالشيخ حماد الانصارى . محدث المدينة واستفاد منه النقد على هذا الاثر . وبما ذكرنا من التفصيل ظهر انهما لم يراجعا التاريخ الكبير للامام البخارى والجرح والتعديل لابن ابى حاتم .

الايراد الخامس :

سيف الضبى ، وهو الذى ذكر هذا الاثر ، سيف هذا كذاب متهم بالزندقة ، قال فيه ابن حاتم : سيف متهم

١- محمد بن عبدالباقى الزرقانى ، العلامة : شرح المواهب اللدنية طبع ١٢٩٢هـ ٨/٧٧

بالزندقة واحاديثه منكرة (ملخصا)[1].

اقول : قد سبق ان مدار الاستدلال على رواية الحافظ ابن ابى شيبة كما استشهد بروايته الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى والعلامة القسطلانى شارح البخارى فى المواهب اللدنية وليس فى سنده سيف الضبى ، فلا يلزم ضعف تلك الرواية فضلا عن البطلان ، اما الروايتان الاخريان اللتان ذكرهما الحافظ ابن كثير فهما من المتابعات وليس مناط الاستدلال عليهما .

قال ابن ابى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل سيف بن عمر الضبى ضعيف الحديث ومتروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى[2] .

ولم يزد على ذلك ولا ندرى اين قال : انه متهم بالزندقة .

على انا نقول ان الانبياء احياء فى قبورهم وهذه عقيدة من معتقدات اهل السنة والجماعة ، فما المانع ؟ من طلب الدعاء والشفاعة منهم .

قال العلامة ابن القيم نقلا عن الشيخ احمد بن عمرو . وهذا نصه:

ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم احياء عند ربهم . يرزقون . فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء فى الدنيا ، واذا كان هذا فى الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى ، مع انه قد صح عن النبى ﷺ : ان الارض لا تأكل

١- ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٤

٢- ابن ابى حاتم الرازى : كتاب الجرح والتعديل ٤/٢٧٨

اجساد الانبياء، وانه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس وفى السماء وخصوصا بموسى ـ عليه السلام، وقد اخبر بانه ما من مسلم يسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ـ الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء[١].

قال العلامة ابن تيمية:

كما ان موسى يصلى فى قبره وكما صلى الانبياء خلف النبى ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس وتسبيح اهل الجنة والملائكة فهم يتمتعون بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله لهم ويقدره لهم ليس من باب التكليف الذى يمتحن به العباد[٢].

وقال العلامة ابن تيمية:

وكذلك الانبياء والصالحون وان كانوا احياء فى قبورهم وان قدرانهم يدعون للاحياء وان وردت به آثار فليس لاحد ان يطلب منهم ذلك، ولم يفعل ذلك احد من السلف. لان ذلك ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله، بخلاف الطلب من احدهم فى حياته فانه لايفضى الى

١ـ ابن القيم الجوزية، العلامة: كتاب الروح (حيدر آباد، دكن الهند) ص: ٥٨ـ٥٧.

٢ـ احمد بن تيمية، العلامة: مجموعة الفتاوى ٢٠٤/١

الشرك ولان ما تفعله الملائكة ويفعله الانبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر التكوينى فلا يؤثر فيه سؤال السائلين[1]

ليس المطلوب من نقل هذه العبارة الا ان الشيخ ابن تيمية ايضا قائل بحياة الانبياء والاولياء، وبانهم يدعون للاحياء ووردت به آثار، فلا ضير عاينا لو اتبعنا جمهور علماء الاسلام وتركنا رأيه فى تجويز طلب الدعاء والاستشفاع من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعد وفاتهم.

وقد سبق فى رواية الحافظ ابن ابى شيبة ان بلال بن الحارث المزنى رضى الله تعالى عنه طلب من النبى ﷺ بعد وفاته ان يستسقى لامته - وبه ثبت ان طلب الدعاء منه ﷺ بعد وفاته ليس شركا ولا مفضيا اليه كما انه ليس شركا ولا مفضيا اليه فى حياته ﷺ.

ثم ههنا سر يقطع عرق الشرك وهو ان المتوسل لا يطلب الا من الله تعالى كما قال العلامة ابن تيمية:

المتوسل انما يدعو الله ويخاطبه ولا يطلب الامنه، لا يدعو غيره الا على سبيل استحضاره لا على سبيل الطلب منه[2].

والحمد لله العلى العظيم والصلوة والسلام على نبيه وحبيبه الامين الكريم وعلى آله واصحابه اجمعين.

٣٠- ذيقعده ١٤٠٧هـ
٢٧- يوليو ١٩٨٧م

محمد عبد الحكيم شرف القادرى
خادم الحديث بالجامعة النظامية الرضوية
لاهور - باكستان

١- احمد بن تيمية، العلامة: مجموعة الفتاوى ١/ ٣٣٠
٢- ايضا: مجموعة الفتاوى ٣/ ٢٧٦